

المحدث المتبع للسنة

إن الاقتداء برسول الله ﷺ من أجل الأمور التي يسعى إلى تحقيقها الصوفية، وهم يرون - في صدق - أن القرب من الله سبحانه لا يتأتى إلا بالسير في الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ .
إن الله سبحانه يقول :

﴿ لَقَدْ كُنَّا لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١).

وكيف يقتدى الإنسان برسول الله ﷺ إذا لم يكن على معرفة بسيرته، ومن أجل هذه المعرفة درس الصوفية السيرة النبوية .
درسوها في مظانها من كتب السيرة ومن كتب الحديث .
وبعض الصوفية خطأ خطوة أخرى فاشتغل بالحديث وأصبح محدثاً، ومن هؤلاء : الفضيل بن عياض .
أما فيما يتعلق بذي النون فإنه درس السيرة دراسة مستفيضة،
درسها ليقترن بها ودرسها ليرشد إليها .
ودرس الحديث، بل وأسند الحديث عن الأئمة - رحمهم الله تعالى :

عن مالك ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض وغيرهم .

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

ولكنَّ أمرَهُ في إسناده الحديث سار على ما وصف صاحب «الخلية»
إذ يقول :

« شَغَلَتْهُ الرِّعَايَةُ عَنِ الرِّوَايَةِ » .

وذو النون هو الذى يقول :

« من علامات المحبِّ لله : متابعة حبيبِ الله في أخلاقه وأفعاله
وأمره وسُنَّته » .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

ومن كلمات ذى النون التى لها مغزاها فيما يتعلق باتِّباع السُّنَّة
الشريفة ما يحدث به محمد بن سعيد الخوارزمي ، قال :
سمعت ذا النون - وقد سئل عن المحبة - قال :

« أَنْ تُحِبَّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ ، وَتُبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ ، وَتَفْعَلَ الْخَيْرَ
كُلَّهُ ، وَتَرْفُضَ كُلَّ مَا يَشْغُلُ عَنِ اللَّهِ ، وَالْأَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ،
مَعَ الْعُطْفِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالْغِلْظَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ فِي الدِّينِ » .

ومن الأحاديث التى أسندها ذو النون ما يلى :

يقول أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصرى :

حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال :

قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَحَبَّةً مِنْ خَلْقِهِ » .

قيل : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قال : « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

ويقول أبو الفيض ذو النون : حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« تَجَافَوْا عَنِ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ ^(١) .

ولقد روى ذو النون هذا الحديث الشريف بعدة طرق .

ويقول رحمه الله ﷺ : سمعت الفضل بن هاني ، سمعت مالك بن أنس رحمه الله ، سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت جبريل يقول :

« مَنْ قَالَ مِنْ أَمْتِكَ - يَا مُحَمَّدٌ - كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، كَانَ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأُنْسًا مِنَ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَجْلَبَ بِهِ الْغَنَى ، وَاسْتَقَرَّ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ ^(٢) .

ويقول ذو النون : حدثنا مالك بن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ - مِائَةَ مَرَّةٍ - عُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » .

ويقول ذو النون المصري : حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) روى من طرق أخرى .

(٢) ينبغى أن يفهم معنى هذا الحديث وأمثاله على وجهه الصحيح ، أى : من قالها مؤمناً بها إيماناً يقيناً يعصمه من أن يستسلم لغير الله من نزغة أو شهوة أو حب جاه أو مال . . . فمن قالها على هذا الوجه كانت لها ثمارها من الخيرات الكثيرة .

« الدُّنْيَا سَجَنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .

ويقول ذو النون المصري : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ » . . أخرجه الخطيب في « رِوَاةِ الْحَدِيثِ » . والحديث في « الموطأ » .

ويقول ذو النون : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي بكر أنه سمع أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » (١) .
ومن أقواله لرجل :

« لَيْكُنْ أَثَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَأَحْبِبْهَا إِلَيْكَ إِحْكَامَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَاتَّقِ اللَّهَ مَا نَهَكَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ مَا تَعَبَّدَكَ اللَّهُ بِهِ خَيْرٌ لَكَ وَأَفْضَلُ مِمَّا تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّذِي لَمْ يَجِبْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهَا أَبْلَغُ لَكَ فِيمَا تَرِيدُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يِرَاعِيَ أَبَدًا مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَضٍ يُحْكَمُ عَلَيْهِ عَلَى تَمَامِ حُدُودِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى مَا نُهِى عَنْهُ ، فَيَتَّقِيهِ عَلَى إِحْكَامِ مَا يَنْبَغِي .

واعلم أن الذي منع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان وما أعد الله لأوليائه وأعدائه ، حتى يكونوا كأنهم مشاهدون لها : التهاون عن إحكام ما افترض عليهم في قلوبهم وأسماعهم

(١) حديث صحيح .

وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم ، ولو أحكموها أدخل
عليهم الفوائد حتى تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما ورثهم الله من
معوناته وفوائد كراماته، ولكنهم حقروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بما
فيهم من العيوب ، فحرّموا ثواب الصادقين « .

* * *